Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطيب) يدفعها إلى السمو دائماً على الرغم من أن الإخفاقات التي يفرزها الواقع بعد كل تجربة أو مغامرة، لأن النتائج على الأغلب الأعم كانت مخيبة للآمال والتوجهات، ولعل إحدى أهم مغامرات دون كيشوت الناجحة كانت مقدرته على فك أسر عدد من المساجين الذين كانوا منقادين لرجال الملك وذاهبين إلى البحر ليعملوا هناك في (سخرة) التجذيف، وهم في الأصل قطاع طرق، ولصوص، وسفلة، وفاسقون، ومجرمون؛ يحررهم دون كيشوت من أسر رجال الملك لقناعته أن الحرية حق للجميع، وأن الاضطهاد صفة حيوانية، وحجز الحريات صفة لا إنسانية، ولهذا يحررهم مع قناعته أنهم من أسوأ نماذج المجتمع، وقد اتضح ذلك من خلال انقلاب المساجين على مخلصهم دون كيشوت إذ طرحوه أرضاً، وسرقوا طعامه، وأخذوا ثوبه، وأدموه، هو وتابعه سانشو. وحين يفر السجناء كل في طريقه، يبادر سانشو إلى القول معنفاً سيده: إنه يعيد إلى المجتمع السفلة والحقراء والمجرمين، وما كان عليه أن يفعل ذلك. ويرد دون كيشوت عليه قائلاً: إنني أعرف أن إسداء المعروف للسفهاء شبيه بإلقاء الماء في البحر، ولكن الأمر كان طبيعياً جداً وعادلاً جداً. ويضيف دون كيشوت، وهو غارق بدمه: لا تحسبن، يا سانشو، أن المساجين أخذوا ثوبي من أجل الانتفاع به أو إهانتي، لا.. لقد أخذوه ليكون تذكاراً لهذه المغامرة العظيمة التي قمنا بها؛ المغامرة التي ستظل محفورة على جدران قلوبهم جميعاً!!

## -5-

إذن، لم يكن سرفانتس يتقصد أن يرسم لنا شخصية انفعالية تهريجية من خلال سيرورة أفعال دون كيشوت وأعماله (المغامرات)، وإنما كان يريد أن يرسم شخصية على درجة كبيرة من الوعي والأهمية والنبل، فقد راح يترصد عبر هذه الشخصية (دون كيشوت) خطا السيد المسيح عليه السلام وأفعاله، والمقابلات مع الناس، وأغلبها مقابلات لا تتوازى وأهمية صفة النبل التي كان يتحلى بها أو جوهرية الفعل والمؤدى منه، فكما كان السيد المسيح لا تهمه النتائج النفعية فإن دون كيشوت لم يكن يحتسب لها أية أهمية وهو يغامر بنفسه التي رهنها لرؤى فلسفته الذاهبة نحو الخلود لا نحو الأملاك والجاه والحظوة، وهذا هو الفارق الرئيسي الذي ميّز دون كيشوت كفارس جوّال عن آلاف الفرسان الجوالين الذين سبقوه في الظهور عبر المئات من كتب الفروسية الذائعة الصيت والسمعة. لقد كانت سمات الابتذال، وعدم السمو، والخطابية الفجة.. الخ هي